الظروف التى مر بها وتلك التى صاحبت مسيرة النحو اللاتينى عبر العصور، فهو مثله لم تدرس قواعده فى ضوء نصوص ممثلة للغة التى أقيم عليها، ويكفى للتدليل على ذلك الرجوع إلى الكتب التقليدية النحوية، وملاحظة المادة اللغوية التى تصحب عرض القواعد والقوانين[1].

وقد ترتب على هذه الطريقة التدريسية أن فشلت فى عصرنا الحاضر قواعد النحو المعيارى فى أداء مهمتها أى توجيه الناس وجهة لغوية خاصة بحيث يكتبون نصوصاً تشبه تلك التى أقيمت عليها ويتكلمون - حتى فى المناسبات الخاصة والرسمية جداً - كما كان يتكلم، فهى بالطبع أقل فى كتابات هؤلاء الكتاب والمثقفين الذين يتميزون بخلفية عربية أصيلة.

وتتبدى فى أمرين صور الاختلاف بين العربيتين العربية المعاصرة، وعربية عصر الاستشهاد. وهما كما يلى:

اختفاء كثير من النماذج التركيبية أو الصيغ الاشتقاقية التى تسمح بها قواعد النحو المعيارى وذلك من بعض فصول النحو العربى التى تمثل جانباً من هذه القواعد، اختيرت اعتباطاً وهى: الفصل الخاص بأحوال الصفة المشبهة مع معمولها، والفصل الخاص باشتقاق فاعل من أسماء العدد واستعماله على سبعة أوجه، وباب جمع التكسير.

لقد جاءت كتب النحو التى تحتوى على النماذج التركيبية للعربية أولاً ثم ترتبت عليها وتألفت الكتب الجامعة لأصول أحكام هذه التراكيب ثانياً. وإذن فقد ألف سيبويه والمبردوابن السراج قبل أن يستخرج ابن جنى وابن الأنبارى «أصول» النحو:

وهكذا يصبح التسلسل واضحاً للنظرة الأولى. وفى علم النحو والصرف واللغة خاصة فإن حاجة البلاد الأعجمية إليها أشد من حاجة البلاد العربية فعرب البادية والحجاز لم يكونوا بحاجة إلى النحو واللغة لأنهم يعرفون لغتهم ويتكلمون بها صحيحة عن سليقة.

---

(١) محمد فتيح - فى الفكر اللغوى- ص ٢٦- دار الفكر العربى - ط ١ - القاهرة - ١٩٨٩م.